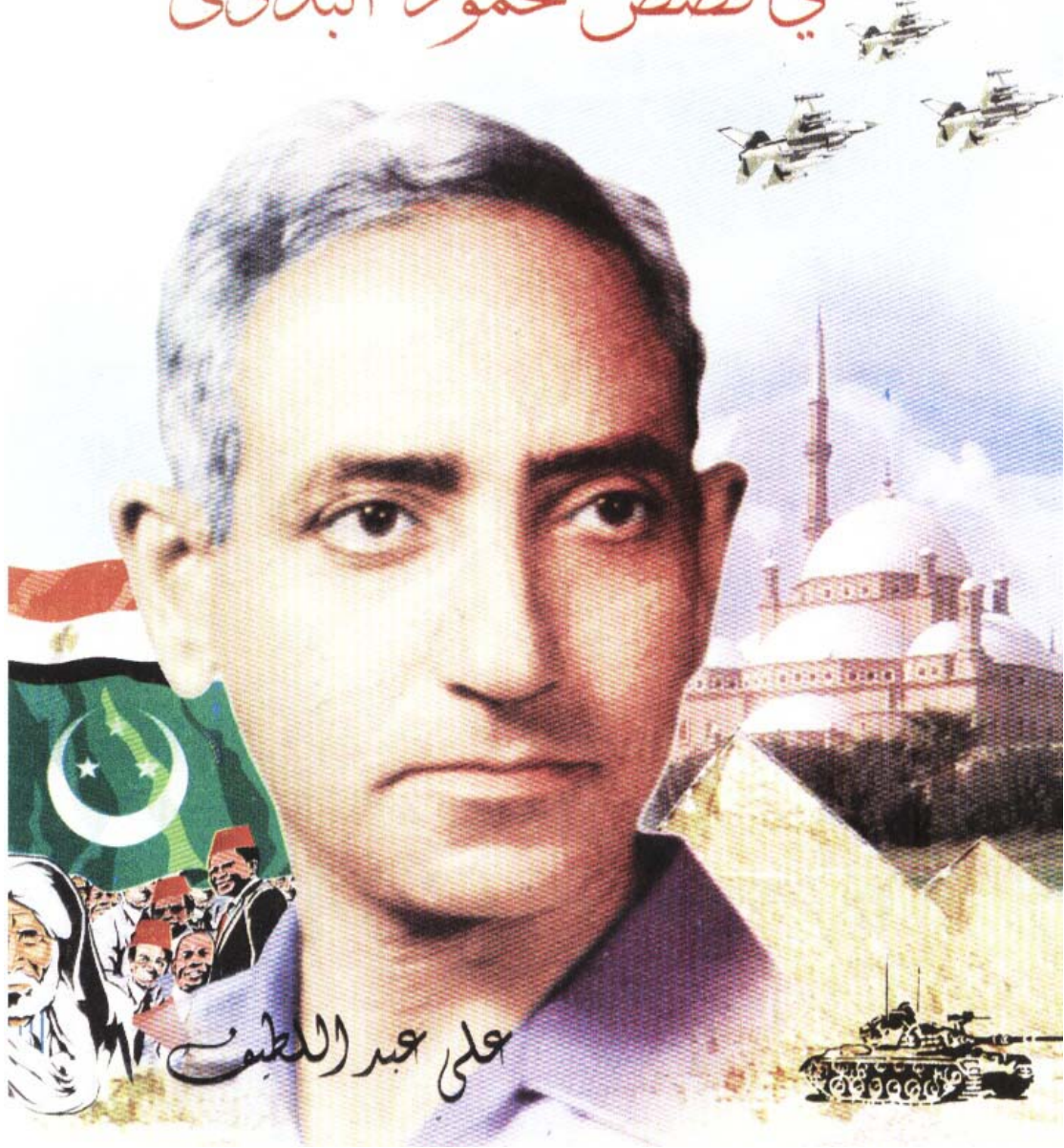


حريق القاهرة

في قصص محمود البدوي



المكتبة الالكترونية المجانية

www.fiseb.com أول وأكبر مكتبة الكترونية عربية مجانية على الإنترنت



www.fiseb.com

حريق القاهرة فى قصة محمود البدوى

بقلم : على عبد اللطيف

القاهرة تحترق

" منع التجول فى الطرقات ، وقارب الليل من منتصفه ، والنيران مشتعلة ، والقاهرة تحترق ، والدخان يملأ جو السماء ويحجب كل الرؤى ، وانهارت البيوت وأكلتها النيران ، وأصبحت أكواما من التراب .

وفى صباح اليوم التالى ، تحولت النار إلى رماد ، وشعاع الشمس الذهبى يطارد الدخان ، وخرجت الصحف بعناوين سوداء مثيرة ، بعد أن احترقت المدينة الجميلة "

يوم الجمعة ٢٥ يناير ١٩٥٢ معركة الاسماعيلية
يوم السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢ حريق القاهرة

فى يوم الجمعة ٢٥ يناير ١٩٥٢ نشبت معركة بين جنود بلوك النظام المصريين والإنجليز فى الإسماعيلية ، وفرغ السلاح من الجنود وهم فى داخل مبنى المحافظة ، وحاصرت الدبابات الانجليزية المبنى ودكته على من فيه بالمدافع الثقيلة ومدافع الدبابات وقضت على الجنود البواسل الذين كانوا يدافعون عن الوطن .

وفى اليوم التالى ظهرت العناوين المثيرة فى صحف الصباح تحمل أنباء المعركة .

واشتمت رائحة الثورة فى الأنفاس المتحركة فى الطرقات ، وتحركت الجماهير وثارى ، وسارت المظاهرات ، وأدرك الناس أن هذا هو رد الشعب على العدوان .

وتدفقت الجماهير فى أكثر من مكان فى قلب القاهرة ، وتجمعت متحمسة وتصيح ، وهدرت الأصوات كهزيم الرعد ، وفى كل لحظة تزداد هياجاً وغبياً ، وترتد عن الشارع الذى تسير فيه ، ثم تعود اليه .

كانت الجماهير تتحرك من تلقاء نفسها بفعل الغضب وحده ، تتحرك وهى ترعد ، ومن عيونها يطل الشرر ، والأخبار المثيرة عن معركة الأمس تصل إلى المسامع فتلهب الحماس وتزيد من الغضب .

وأخذت الجموع تجرى من مكان إلى مكان فى نفس
الحى دون أن تدرى الغاية من العدو ، وتوقفت ، وأخذت
تسير فى صفوف متراصة تسد عين الشمس ، وأخذت
الضوضاء ترتفع ويعلو ضجيجها .

وتدخل المشردون والرقاع والسوقة ، ووجد
المخربون والفوضويون فرصة مواتية لن تفلت من أيديهم ،
فتركزوا فى القلب حيث المتاجر الكبيرة الغنية بما فيها ،
فأشعلوا فيها النيران ، والغضب الأسود للجماهير جعلهم
يؤدون مهمتهم بنجاح .

الأثاث يلقى من النوافذ والشرفات ، وأبواب المتاجر
تتحطم ، ونفر من الناس بمنظرهم الوحشى يتسللون كالسيل
فى موج يدفعه موج إلى الداخل يلتقطون المجوهرات
والساعات فى لمح البصر ، ويحشون بها جيوبهم ، ونهبت
معظم الحوانيت فى منطقة وسط البلد وحرقت .

واندفعت الجماهير الغاضبة إلى داخل العمارات يبحثون
فيها عن الإنجليز ، ومن يعترض طريقهم ، تسحقه أيديهم
وتفتك به .

ويطل السكان من النوافذ فى رعب قاتل وهم يرون
الجماهير وهم على حالهم من الغضب ولا عقل لهم فى
ثورتهم .

وامتدت النيران إلى حى البنوك ، والبيوت والمتاجر

تشتعل ، وأخشاب العمارات تطلق ، والسماء تلفها سحب
الدخان الكثيفة .

وامتلأت الطرقات بالهباب وبعروق الخشب المتساقطة ،
والنوافذ المحطمة ، وقطع الزجاج المهشم ، فى شوارع
عماد الدين وفواد و ابراهيم وسليمان باشا و عبد الخالق
ثروت . وضباب الدخان يملأ الجو ويصل إلى الخياشيم
ويضيق به الصدور ، والشعر خلط بالهباب والغبار والعرق
والناس تفر وتجرى مذعورة فى الشوارع ، والاذاعة تذيع
أخبار الحريق .

وأجراس عربات المطافىء تدوى وهى تسير ،
والخراطيم تمتد على الأرض ، والصلالم الطويلة تصل إلى
السقوف ، والماء يتدفق فى الشوارع ويغسل واجهات
البيوت العالية .

بوغت البوليس بالحريق ونهب المتاجر فى كل مكان فى
القاهرة الواسعة ، ولما تحرك بعد أن أفاق من وقع الصدمة
، كان الزمام قد فلت وهرب هؤلاء واختفوا بأسلابهم .

ووجد البوليس أكثر ما وجد فى الشارع الذين لا علاقة
لهم بالسلب والنهب ، ووجد الذين يتفرجون على النيران ،
والعائدين بعد العمل إلى بيوتهم ، ويريد أن يثبت وجوده ،
فحاجز الجميع واختلط الحابل بالنابل .

وكم من البوليس فى محطة القاهرة يراقب الداخل
والخارج منها ، وحاصرت فصيلة من الجنود الميدان

وقبضت على من كان فيه . وأدخلوهم كقطعان الماشية إلى "قسم الأزبكية" وفيهم الشبان والشيوخ ولابسى الجلابيب ومرتدى البدل .

وكانت غرفة الحجز لا تسعهم جميعا ، فقسموهم إلى نصفين ، ووضعوا الأول في غرفة الحجز والثاني في غرفة مجاورة كما اتفق ، والحجرة لاتسع لأكثر من عشرة اشخاص ، وعلى البابين وقف الحراس بالسلاح .

كانت الفوضى ضاربة أطنابها مع كثرة الجنود داخل القسم وخارجه ، وأخذت التليفونات داخل القسم تدق باستمرار ، والمأمور يستشير رئيسه في استحالة بقاء هؤلاء في القسم إلى الصباح ، وتلقى الإشارة بنقلهم إلى سجن مصر .

ولم يكن المحبوسون داخل القسم يعرفون شيئا عما يجري في الخارج ، وسرى الخوف في نفوسهم ، فهم محبوسون كالجرزان دون عقوبة ودون سبب ، وأحسوا بالاختناق والعرق المتصيب رغم برد الشتاء ، وشل الخوف والرعب كل حركاتهم ، ومنهم من تبول على نفسه وهو واقف وقاعد ، وكان من بينهم من دخل سجون الأقسام قبل ذلك ، فأخذ الأمر كله بعدم مبالاة واستهتار ، ولكنه أفاق لنفسه عندما سمع ممن حوله أن الأمر هذه المرة يختلف ، وأن الجريمة الجديدة عقوبتها الأشغال الشاقة المؤبدة .

وحيثما جاء الليل ، وأضيئت المصابيح الكابية داخل القسم ، أخرجوهم إلى الصالة وتجمعوا كقطيع الغنم في

مكان واحد ضيق ، وتحرك لوريا ضخما حتى أصبح ملاصقا لبابه ، وكان حوله الجنود فى ملابسهم السوداء ذات الأزرار النحاسية التى طمسها الدخان ، وبرز بعض الضباط من الحجرات الجانبية وبعض المخبرين يلبسون البلاطى على الجلابيب ويغطون رؤوسهم بالطواقى والملاحف ، يستعرضون الوجوه فى الصالة ، وتحرك المحبوسون ببطء إلى اللورى وشحن اللورى الأول وتحرك إلى السجن ، وجاء اللورى الثانى .

كان الجمهور فى الخارج قد شعر بهؤلاء المقبوض عليهم فى الداخل ، فأخذ افراده يتجمعون خارج القسم وكثر عددهم ، وخشى الجنود أن يفلت منهم الزمام بعد تكاثر أهالى المحبوسين ، فيخرجون المحبوسين بالقوة ، ويصل الاضطراب إلى مداه ، فحركوا اللورى ، وجعلوه يقف بالطول ، ومؤخرته قريبة من سلم القسم ، وفى الظلام ما أمكن .

وأخذ البوليس يطارد أصحاب الأسماء المسجلة فى سجلاته والذين قبض عليهم من قبل فى المظاهرات ، فبعد كل حادث وكل مظاهرة تقفز الأسماء إلى رؤوسهم ويشدونهم كلما حل لهم بعد كل حادث ولو لم يكن قد اشترك طول حياته فى أى عمل من أعمال التخريب أو حتى مجرد تكسير فانوس .

ومنع التجول فى الطرقات ، وقارب الليل من منتصفه ، والنيران مشتعلة ، والقاهرة تحترق ، والدخان يملأ جو السماء ويحجب كل الرؤى وانهارت البيوت وأكلتها النيران

، وأصبحت أكواما من التراب .

وفى صباح اليوم التالى تحولت النار إلى رماد ، وشعاع الشمس الذهبى يطارد الدخان ، وخرجت الصحف بعناوين سوداء مثيرة ، بعد أن احترقت المدينة الجميلة .

المراجع من قصص محمود البدوى عن حريق القاهرة

١- الهارب ... نشرت بمجلة الجيل ١٩٥٧|٦|٢٤ وأعيد نشرها بمجموعة الغزال فى المصيدة

٢- مجموعة الطوابع ... نشرت بصحيفة الشعب ١٩٥٧|٧|٢٩ وأعيد نشرها بمجموعة الزلّة الأولى

٣- الغضب ... نشرت بمجلة القصة يوليو ١٩٦٤

٤- المارد ... نشرت بمجلة الثقافة مايو ١٩٨٠ وأعيد نشرها بمجموعة الغزال فى المصيدة

=====

المارد

قصة محمود البدوى

مرض " أمين " بالحمى وطال مرضه ، ولما أحس ببعض العافية ، رأى أن يخرج من البيت ويتريض قليلا ، لأن الرقاد الطويل فى الفراش أصابه بالوجع فى عظامه ولحمه ، وأصبح فى حالة من الضعف جعلته لا يكاد يتماسك .

ولما خرج إلى الشارع ولما استه شمس الأصيل ، وحرك رجليه شعر بدبيب القوة يعود إليه ، وأخذ يمشى دون وجهة معينة .

وكان يسكن فى السبتية .. فوجد نفسه وهو يسير ملاصقا لشريط الترام فى ميدان المحطة ، وإذا بالدخان الكثيف يخيم والحرائق لاتزال مشتعلة فى العمارات والمتاجر .

وكان قد سمع من الإذاعة قبل أن يخرج من البيت بحريق القاهرة ، ولكنه لم يكن يتصور أن الأمر يصل إلى هذه الدرجة من سوء ، ووصل الدخان إلى خياشيمه ، وكانت أخشاب العمارات تطلق ، والسماء تلفها سحب الدخان الكثيفة .

ووجد أن النار كثيرة فى شارع ابراهيم .. ولكنها معدومة فى شارع كلوت بك فاختر الشارع الذى ليس فيه نيران .

وقبل أن يخطو أول خطوة .. إذا بفصيطة من الجنود
تحاصر الميدان وتقبض على كل من كان فيه .

وأدخلوهم كقطعان الماشية إلى " قسم الأزيكية " ..
وكانوا أكثر من ثمانين شخصا ، فيهم الشبان والشيوخ ،
ولابسي الجلابيب ، ومرتدى البدل .

وكانت غرفة الحجز لاتسعهم جميعا ، فقسموهم إلى
نصفين .. وضعوا الأول في غرفة الحجز والثاني في غرفة
مجاورة كما اتفق ، وعلى البابين الحراس بالسلاح .

ومع كثرة الجنود داخل القسم وخارجه .. ولكن الفوضى
كانت ضاربة أطنابها .. وكل الظواهر تدل على أن الزمام قد
فلت .. فقد بوغت البوليس بالحريق ، ونهب المتاجر ، في
كل مكان في القاهرة الواسعة .. ووجد المشردون والرقاع
والسوقة الفرصة مواتية .. ولن تفلت من أيديهم .. فتركزوا
في القلب حيث المتاجر الكبيرة الغنية بما فيها .

ولما تحرك البوليس بعد أن أفاق من وقع الصدمة ، كان
هؤلاء قد هربوا واختفوا بأسلابهم .. ووجد البوليس أكثر ما
وجد في الشارع الذين لا علاقة لهم بالسلب والنهب .. ووجد
الذين يتفرجون على النيران ، والعائدين بعد العمل إلى
بيوتهم .. ولأنه يريد أن يثبت وجوده ، فحاجز الجميع ..
واختلط الحابل بالنابل .

ومع أنهم وزعوهم إلى غرفتين .. ولكن أكثرهم أحس بالاختناق .. فالحجرة لا تتسع لأكثر من عشرة أشخاص فكيف تتحمل وجود أربعين .

ومع الفوضى والاضطراب .. فقد أخذت التليفونات تدق باستمرار .. وكان المأمور قد أخذ يستشير رئيسه .. فى استحالة بقاء هؤلاء فى القسم إلى الصباح .

وبعد أخذ ورد تلقى الإشارة بنقلهم إلى سجن مصر .

ولم يكن المحبوسون داخل القسم يعرفون شيئا مما يجرى فى الخارج .. ولكنهم كانوا يشمون آثار الحريق .. والاضطراب فى الداخل والخارج .. وسرى الخوف إلى نفوسهم .. فعندما تشيع الفوضى .. يصبح من السهل عمل كل شىء .. الجلد والقتل .. ومواراة الجثث فى الصحراء .. واسدال الستار على المأساة كلها ، وما حدث شىء وما من جريمة وقعت .

ورغم الشتاء أحسوا بالاختناق والعرق المتصيب .. وشل الخوف والرعب كل حركاتهم .. ومنهم من تبول على نفسه وهو واقف وقاعد ..

وكان من بينهم من دخل سجون الأقسام قبل ذلك .. فأخذ الأمر كله بعدم مبالاة واستهتار .. ولكنه أفاق لنفسه عندما سمع ممن حوله أن الأمر هذه المرة يختلف .. وأن الجريمة الجديدة عقوبتها الأشغال الشاقة المؤبدة .

وكان " أمين " أكثر الموجودين رعبا وفزعا .. وشعر بالمرض يعود إليه بكل لمساته القاسية ..! وقعد على الأرض في مكان وقوفه . وكان من بين المحبوسين من هو أسن منه وأصغر ، فنظروا إليه في اشفاق ، وقدم له واحد من الكبار سيجارة فأشعلها وهو يحس بتأثيرها على أعصابه .

وصرخ واحد :

- أخذوني وأنا مروح ..

- كلنا كده ..

- ولمن نتظلم ؟..

- ومن يستمع لمظلمة في هذا الجو المضطرب ؟

وسمعوا صوت ضابط ..

فصاح أحدهم ..

- أنا أعرفه .. انه مقبل بيه .. تربى مع الكونستبلات

الإنجليز .. وأصبح كواحد منهم .

- أبدا .. لاتفكر هكذا .. الجمهور تحرك وثار اليوم ليرد

على ما حدث لهم في الإسماعيلية بالأمس .. ضرب الإنجليز

الأندال .. الجنود البواسل .. بعد أن فرغ سلاحهم ..

وطوقوهم بالدبابات .. أنذال .. والجنود الذين تراهم

وتسمعهم في القسم مصريون .. كلهم مصريون ينفذون

الأوامر ..

وخيم السكون والصمت .

وشعروا بالظلام عندما أضيئت المصابيح الكابية في

القسم ، وشعروا معه بالرغبة .

وظلت الحركة فى داخل القسم وخارجه مستمرة .. وكان وقع أقدام الجنود له صدى رهيبا فى نفوسهم .. كأنه وقع السياط ، ولم يعرفوا لذلك سببا .

كانوا محبوسين كالجرزان دون عقوبة ودون سبب .. وعندما أخرجوهم إلى الصالة .. تجمعوا كقطيع الغنم .. فى مكان واحد ضيق .. كأنهم يتوقعون شرا سينزل بهم فجأة .. وكل واحد يطلب العون من الذى بجانبه .. ولهذا التصق به واشتد التصاقه .

وشاهدوا من باب القسم لوريا ضخما .. يقف على بعد خطوات من القسم .. ثم يتحرك حتى يصبح ملاصقا لبابه .. وكان حوله الجنود فى ملابسهم السوداء ذات الأزرار النحاسية التى طمسها الدخان .. ولم تكن الاضاءة قوية لا فى الخارج ولا فى الداخل .

وبرز من حجرة جانبية بعض الضباط وبعض المخبرين .. يلبسون البلاطى على الجلابيب ويغطون رؤوسهم بالطواقى والملاحف .

ثم ظهر أطول هؤلاء جميعا وأضخمهم ، وكان يرتدى معطفا داكنا على جلباب أخضر ، وبيده عصا قصيرة ، وكان وجهه نحاسيا ، وعيناه تبرقان وتستعرضان الوجوه فى الصالة .

ولمخ المخبر " أمين " من بين الواقفين المرعوبين المحشورين هناك فى زاوية من الصالة ، لمحاه ثم شدد نظره

إليه ليجد التجاوب من الوجه الآخر .. ولكن " أمين " كان متخاذلا وضائعا فى هواجسه فلم يعرفه ولم يرد على نظرتة ..

عرف المارد أن أمين جاره فى الحى .. وهو موظف فى الحكومة ، فما شأنه بهؤلاء وكيف وقع بينهم ..؟

ومرت سحابة من الغم فى رأس الرجل الذى كان يؤدى عمله كل يوم برتابة وعدم شعور .. يدفع الأنفار إلى اللورى وينزلهم .. وكأنهم دمي .. ويسوقهم إلى القسم فى طوابير .. وكأنهم قطعان من الضأن .. مرت فى رأسه سحابة لأول مرة .. لأول مرة يواجه موقفا صعبا .. أن أمين جاره فى الحى فكيف يتركه لهذا المصير المظلم ؟ كيف يرديه بيديه .. كيف يسوقه إلى مصير مظلم .. إلى الأشغال الشاقة مع الرعاع من الصبية والنشالين والنهابين للحوانيت ومشعلى النار فى المتاجر ..؟

كان رأس المارد يشتغل ويفكر .. ورأى أن يظل فى مكانه على الباب .. وكانوا قد قسموا المحبوسين فى الداخل إلى قسمين ، واصطف القسم الأول فى طابور .. وكان " أمين " فى القسم الثانى وابتهج المارد لذلك.

وبدأ القسم الأول يتحرك فى ببطء إلى اللورى .. وكان المارد هو الذى يعد الأنفار ويصيح :
- واحد .. اثنين .. ثلاثة ..

والعسكري الذى فى داخل اللورى يتلقى العدد بالتمام ..
ويصيح أيضا :

- واحد .. اثنين .. ثلاثة ..
وشحن اللورى الأول وتحرك إلى السجن ..

وجاء اللورى الثانى .. وكان الجمهور فى الخارج قد
شعر بهؤلاء المقبوض عليهم فى الداخل .. فأخذ افراده
يتجمعون خارج القسم وكثر عددهم .. وخشى الجنود أن
يفلت منهم الزمام بعد تكاثر أهالى المحبوسين .. فيخرجون
المحبوسين بالقوة .. ويصل الاضطراب إلى مداه .. فحركوا
اللورى .. وجعلوه يقف بالطول ، ومؤخرته قريبة من سلم
القسم .. وفى الظلام ما أمكن .

وتحرك طابور المحبوسين ببطء .. وابتدأ العدد .. وكان
المارد يسلم النفر إلى زميله فى اللورى .. بصوت عال
وبالعدد .. كما فى اللورى الأول .

وجاء دور الشخص الذى قبل " أمين " .. فأمسكه
المارد من عنقه .. وصفعه وصاح فيه بصوت كالرعد :

- انت بتسب الحكومة يا خنزير ..

- أبدا .. أبدا .. يا بيه ..

وصفعه مرة أخرى .. وحدث اضطراب وزعيق .. وركل
المارد " أمين " .. بقوة .. وصاح فيه وهو يدفعه بذراعه ..
- اجرى .. اجرى فى هذه الحارة .. يا متعوس ..

وجرى " أمين " وجرى .. ولا يدرى وهو قائم من
المرض كيف كان يسابق الريح .

* نشرت قصة " المارد " لمحمود البدوى فى مجلة الثقافة
المصرية بالعدد ٨٠ مايو ١٩٨٠
* حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢

الغضب

قصة محمود البدوى

خرج إبراهيم من المنزل فى الضحى .. وأخذ يسير فى
شوارع القاهرة كالمضال .. وهو شاعر بأقصى درجات
التعاسة .. فقد ظل يبحث عن وظيفة منذ تخرج من الجامعة
وطال البحث والتنقل بين المكاتب والدواوين دون نتيجة .

وكان فى جيبه ثلاثون قرشا ولم يكن يعرف بعدها كيف
يواجه الحياة .. فقد باع كل ما يمكن أن يملكه بما يسد رمقه
.. حتى كتبه باعها .. ولم يبق لديه شىء يباع وأصبح فى
حالة قاتلة من اليأس والعذاب وسدت أمامه كل المنافذ
وأظلمت الدنيا فى عينيه حتى فكر فى الانتحار كآخر وسيلة
للخلاص مما هو فيه من بؤس .

وكان ينقل الخطو متثاقلا وفى رأسه الخاطر الأسود الذى
أخذ يلح عليه .

ولاحظ لأول مرة وهو يمشى فى شارع سليمان باشا
تجمعات الجماهير فى أكثر من مكان ثم ضوضاء وصخب
وأخذت الضوضاء ترتفع ويعلو ضجيجها حتى اشتم رائحة
الثورة من الأنفاس المتحركة فى الطريق .

كان هناك شىء لم يدركه يجرى فى قلب القاهرة .. شىء
لم يكن فى حسبانہ .. ولكن حدوثه كان مقدرًا بعد العناوين
المثيرة التى فى صحف الصباح عن معركة الاسماعيلية
بالأمس بين جنود بلوكات النظام والإنجليز .

اشتم رائحة الثورة وهو يتحرك وحده فى الشوارع
الضيقة .. فلما أشرف على ميدان مصطفى كامل رأى أبواب
المتاجر تتحطم .. والناس تتدفق كالسيل فى موج يدفعه موج
.. فشعر بهزة وسار فى ركبها ..

وكانت الجموع تزداد فى كل لحظة هياجا وغضبا ..
وترتد عن الشارع ثم تعود إليه .. وبدا له جليا أنه لا يحركها
ولا يصدها أحد .. وأنها تتحرك من تلقاء نفسها بفعل الغضب
وحده .. تتحرك وهى ترعد .. ومن عيونها يطل الشرر ..

وكلما انتقل من شارع إلى شارع كان يسمع خبرا مثيرا
وجديدا عن معركة الأمس .. كان يسمع خبرا يلهب حماس
الجماهير ويزيد من غضبها .

ولما وصل إلى شارع " فؤاد " رأى لونا آخر من
الغضب على وجوه الجموع الحاشدة .. رأى غضبا أسود لم
يره من قبل .

رأى الأثاث يلقي من النوافذ والشرفات والنيران تشتعل
فى المتاجر والبيوت .

وسمع الصراخ يقرع أذن الجوزاء وبدأت أجراس
عربات المطافىء تدوى فى الشوارع .. جرس وراء جرس
.. والخراطيم تمتد على الأرض .. والسلالم الطويلة تصل إلى
السقوف .

وأخذ الماء يتدفق فى الشارع ويغسل واجهات العمارات
العالية وامتلات الطرقات بالهباب وبعروق الخشب
المتساقطة والنوافذ المحطمة وقطع الزجاج المهشم .

وردته الجماهير إلى مكان آخر من نفس الحى .. وشاهد
الجموع تجرى فجرى معها دون أن يدرى الغاية من العدو ..
ثم توقفت وأخذت تسير فى صفوف متراصة وخيل إليه أنها
أصبحت تسد عين الشمس .

ولمح خوذات رجال المطافىء النحاسية تلمع وضباب
الدخان يملأ الجو وشعر بصدرة يضيق من الدخان فأنحرف
إلى شارع عبد الخالق ثروت وهناك شاهد نفرا من الناس
يحاول أن يحطم باب أحد المتاجر .. فوقف من بعيد يراقبها
دون أن يشترك معها فى العمل .

ولما تحطم الباب الحديدى .. رآهم يتدفقون إلى الداخل
وراقب العمل بطراوة وشاقه منظرهم الوحشى فأسرع اليهم
ودخل معهم المتجر ورآهم يلتقطون المجوهرات والساعات
فى لمح البصر ويحشون بها جيوبهم .

ودون أن يشعر أو يحس بما فعل امتدت يده سريعا
ووضع " عقدا " من الجواهر الثمينة فى جيبه .. وأحس
بالعرق وهو يفعل هذا ولكنه لما خرج من المحل .. عاد إلى
نفسه ومشى هادئا فى الطريق ثم الفى نفسه يسرع ويخرج
من الشارع .

وكان قد دخل فى قلب المعركة وشاقه العمل كله .. شاقه
تدفق الجماهير فى الشوارع وحماستها وصياحها وصخبها
بل شاقه النهب نفسه ..

وكانت النيران تشتعل وأسقف البيوت تتداعى حواليه ..

وسمع عن قرب صوتا مضطربا كان صوت الرصاص
المنطلق والصراخ يمزق السكون ..

وجاءت عدة طلقات فى تعاقب سريع ..

وأدرك أن العمارة المجاورة تحترق .. ان حى البنوك
يحترق فى الحال .

وكان شعاع الشمس يتخلل الدخان الاسود ..

ودفعته الجموع إلى عمارة عالية في الشارع وصعد
السلام معهم بقوة الدفع .

ولم يكن وهو يصعد يعرف الغرض من صعودهم وفي
الدور الثالث توقف على البسطة ..

وسأل شاب من الصاعدين ..

- إلى أين نصعد ..؟

- فوق .. انجليز في الدور الخامس ..

- لا يوجد انجليز في هذه العمارة ..

قالها بسرعة دون أدنى تفكير ..

- وكيف عرفت هذا ..؟

- أعرف عن يقين .. لا يوجد إنجليز هنا ..

- بل يوجد في الدور الخامس .. والناس كلها تقول ذلك ..

ومن أنت أتسكن هنا ؟

- أبدا ..

- وكيف تنفى وجودهم إذن .. انك خائن .. جاسوس ..

- جاسوس .. جاسوس ..

وسمع الكلمة فارتعش قلبه .. وأحاطت به الجماهير ..

وأحس بأنه يختنق .. وأخذوا يضربونه .. فأفلت منهم وجرى

على وجهه إلى تحت ..

وفي الشارع كان يعدو كالمخبول ويسمع الكلمة

تلاحقه ..

- جاسوس .. جاسوس ..

فذر وفر هاربا

ووجد نفسه بعد أن انخلع قلبه من الذعر والعدو .. يدخل أول بيت صادفه .. ويصعد السلالم سريعا .. ووقف أمام شقة فى الدور الرابع .. وضغط على الجرس بهلع .. فقد كانت الأقدام تلاحقه على السلم .. وأطلقت سيدة من وراء الباب .. وقبل أن تفتح فمها كان قد دخل والدم يسيل من وجهه وأغلق الباب ووقف وراءه .

فنظرت إليه السيدة فى استغراب ووجل ولكن حالة الذعر التى كان عليها وصياح الجماهير وراءه جعلها تدرك حاله .

وسمع الأصوات على السلم تصيح :

- أين ذهب ..؟

- هرب .. ودخل شقة فى هذا الدور ..

- فى هذه الشقة ..

وأخذوا يقرعون كل الأبواب .. ولما قرعوا باب الشقة التى دخل فيها ابيض وجه السيدة ولم تفتح وحبست انفاسها وظلت فى مكانها جامدة .. وسقط إبراهيم فى هذه اللحظة مغمى عليه من الخوف .. لما تصور أنهم شرعوا يحطمون الباب ..

وأخذت السيدة وخادمتها تحاولان اسعافه بكل الطرق وشعرت بهم وهم يهبطون الدرجات ويرحلون .

ولما أفاق إبراهيم وجد نفسه ممددا على كنبه .. والسيدة وخادمتها تسعفانه وتغسلان جراحه .. فتذكر ما حدث ونظر

إلى السيدة فى ذلة كان يخشى أن تطرده بعد أن استرد
وعيه ..

وسمعتها تقول للخادمة ..
- اعملى قهوة يا ستيته للأفدى ..
- شكرا يا سيدتى لاداعى للتعب ..
- القهوة تنفعك فى هذه الحالة .. اسرعى يا ستيته ..
وعادت ستيته تحمل صينية القهوة

وأخذ إبراهيم يترشف فنجاناه فى تودة وهو يشكرها ..
ولاحظ أن ملابسها خفيفة رغم برد الشتاء ..

وكانت جميلة ريانة العود طويلة بيضاء البشرة ولاتزال
رغم أنها تعدت الثلاثين سنة شابة فى نضارتها والدم
الجارى فى شرايينها .. وخمن من السكون الذى طالعه من
البيت أنها تعيش مع خادماتها .

وسألته وهى تنظر إلى عينيه ..
- ما الذى فعلته ..؟
- لاشيء اطلاقا ..
- ولماذا يطاردونك إذن ..
- اتهمونى .. بأنى جاسوس ..
وضحكت ..

- جاسوس يمكن أن يكون هذا صحيحا ..
- صدعوا إلى عمارة فى الشارع المجاور وهم على حالهم
من الغضب ورأيت السكان يطلون من النوافذ فى رعب قاتل
.. فأشفقت عليهم من هذا الاعصار الذى يدمر كل شيء فى

طريقه .. قلت لهم انه لا يوجد انجليز فى العمارة فاتهمونى
بالجاسوسية .. وكادوا يقتلونى ..
- الجماهير الثائرة لاعقل لها ..
- وهل شاهدت النيران .. القاهرة تحترق ..
- ومن الذى أضرم هذه النيران ..
- المخربون والفوضويون .. وهم كالجرذان فى هذه
الساعة ..
- وغضب الجماهير يجعلهم يؤدون مهمتهم بنجاح ..
- أجل .. الغضب الأسود ..

وأخذت صاحبة البيت تتأمله فى سكون .. ولما بصر
بالعدوبة فى عينيها والرقعة فى حديثها أخذ يتأملها بدوره
فبدأ له جليا من لون عينيها وبشرتها ولهجتها أنها مصرية
وغالبا تعمل فى الليل وتستريح بالنهار وخمن أنها راقصة
فى ملهى أو غانية من بنات الهوى .. ولهذا اختارت السكن
فى هذا الحى ..
أخذت تنظر إليه فى حنان وعلى ثغرها ابتسامة جميلة .
وذاب تحت سحر نظراتها ..

وفكر فى هذه اللحظة فى العقد .. وكان قد نسيه فى
غمرة الحوادث التى مرت به .. وتحسسه فى جيبه فألفاه فى
مكانه .. وعجب أن أيدى الجماهير التى سحقته وضربته لم
تمتد إليه . وفكر فى أن يقدمه فى هذه الساعة إلى هذه
السيدة .. ثم رأى أن يؤجل ذلك إلى حين ..

وعجب لنفسه وهو يرغب فى الموت فى كل لحظة لماذا
فر منه عندما وجد الموت محققا .. وعندما وجد الجماهير

تود أن تفتك به .. أخشى من التعذيب أم لأن النفس عزيزة
ولا تهون إلا فى حالة التفسخ والجنون ؟..

وأخذ يتأمل حاله وكان كلما هم بالانصراف أبقتة السيدة
بكلمات طيبة شجعتة على البقاء .. وكانت الساعة قد قربت
من الثانية بعد الظهر ..

وشعر بالخدمة وهى تعد سفرة الغداء .. ودعتة إلى
الطعام فلم يرفض لأنه كان يشعر بجوع شديد .. وجلس يأكل
بشهية .. وهى تلاحظه وتقدم له الطعام بحنان .

ولما فرغ قال لها :

- انها أشهى أكلة أكلها فى حياته ..

فسرت احسان من هذا الاطراء الذى هز أعماق
أنوثتها ..

وكانت الخادمة سنية كما أمرتها سيدتها قد أغلقت جميع
الأبواب والنوافذ ولما كانت الشقة داخلية ولا تطل على
الشارع فقد بدت الردهة معتمة ..

وكان كلما هم بالخروج أبقتة السيدة احسان وقالت له
أنها تخاف الآن ولم تشعر بمثل هذا الخوف فى حياتها .. بعد
أن رأت النيران مشتعلة فى الحى .. والجماهير الغاضبة ..
وترجوه أن يبقى معها هذه الليلة ما دام يعيش وحده فى
القاهرة ولن ينزعج أحد لغيابه عن البيت .
ورأى من توسلاتها ونظرات عينيها أن يبقى .

وجلس يتحدث مع احسان حتى دخل الليل وأخبرته أنها تشتغل راقصة فى ملهى بشارع عماد الدين وأنها تعيش وحدها مع الخادمة .. وتذهب إلى المرقص فى الساعة التاسعة ليلا .. ولكنها هذه الليلة لن تذهب بالطبع .. وربما كان الملهى نفسه يحترق فى هذه الساعة فقد سمعت أن الحريق امتد إلى بناية مجاورة له ..

ورآها جميلة وطيبة وعذبة الحديث وفيها رقة وصفاء فحزن لأنها تحترف هذه المهنة وتعرض جسمها عاريا كل ليلة للأنظار المتوحشة ..

وسألها :

- هل تربحين كثيرا من هذه الحرفة ؟
- أبدا .. واخترتها بعد عذاب .. وجوع ..
ونظرت إلى السقف كأنها تحلم أو تسترجع شريط حياتها .

وقالت بصوت ناعم الجرس :

- كنت متزوجة من شاب وسيم وغنى وكنت صغيرة ..
وأطوع له من بنانه .. ولكنه خانتى أبشع خيانة .
كيف ؟

- كنت مريضة بالتيفود .. وطريحة الفراش .. وذات ليلة وجدته يحتضن الخادمة .
وتركته بعدها ..؟

- أجل طلبت الطلاق .. وكنت وحيدة وفقيرة وأريد أن أشتغل فى أى عمل أعيش منه .. حتى غسالة فى البيوت ..
لأصون نفسى من الدنس .. وأظل عفيفة .. ولكن .. أى رجل

لايتقاضى ثمن خدماته للمرأة المسكينة؟! ودفعت الثمن
لأول رجل شغلنى فى مصنع للتريكو .. وبعدها هانت على
نفسى واحترفت الرقص .. وأنا أعيش مستقلة ..
- ومسرورة بعملك .. وشاعرة بالراحة ..?
- لقد تبدل احساسى فى الواقع .. لم يعد له احساس الأنثى
.. وأنا أمثل فى كل ليلة .. أتكلف الابتسام والضحك لأرضى
الزبون ..

وأمنيته أن أقع على من يخفق له قلبى .. ويسمعى كلمة
حلوة مجردة من كل غرض ..
- أو لم تسمعى هذه الكلمة بعد ..?
- أبدا .. ما سمعتها قط ..
- ان هذا محزن فى الواقع ..

ورفعت رأسها إلى عينيه وسألته :
- لماذا يبدو وجهك شاحبا .. هل لازلت خائفا ..
- ذهب عنى الخوف .. ولكن هذا من أثر الجوع .
- وهل أنت فقير إلى هذا الحد .. ولماذا لاتعمل ؟
- فقير جدا .. ومنذ سنين وأنا أبحث عن عمل .. دون
نتيجة ..

- تعال عندى فى الملهى وأشغلك ..
- فى أى وظيفة ..?
- سأجعلك تراقب الزبائن فى الصالة ..
- لست من ذوى العضلات الحديدية حتى أصلح لهذا .
- أى عمل .. أى عمل تحبه ..
- يا سيدتى شكرا جزيلا ..

وحدقت فى وجهه طويلا .. وقالت :

- لا أدري أين رأيتك من قبل .
- وأنا كذلك أسائل نفسي هذا السؤال..
- ولهذا لم يكن وجهك غريبا عنى وأنا أفتح لك الباب .
- لقد نجيتنى من الموت .. ولا أدري كيف أشكرك ..

وتحسس العقد فى جيبه .. ثم أخرجه وقدمه لها ..
وبرقت عيناها وحدقت فى عجب ..
- ما هذا ؟..

- عقد وجدته ملقى فى الطريق .. سقط من الذين نهبوا
المتاجر ..
ولم يشأ أن يقول لها أنه سرقه ..

وسأله :

- أنهبوا المتاجر ..؟
- معظم الحوانيت فى هذه المنطقة .. نهبت وحرقت ..
- يا ليتنى كنت هناك ، كنت ملأت بيتى بكل ما يعوذنى من
تحف وجواهر ..
وضحكت ..

فقال :

- أنزل .. وأملأ لك جيوبى ..؟
- أتسرق ..؟
- لقد سرقت ..
- سرقت ..!!؟
- نعم وهذا العقد سرقتة .. لم أجده فى الشارع كما قلت
لك من قبل ..
واحمر وجهه ..

ولاحظ أن لون وجهها شحب ونظرت إليه باشفاق ..
- ولماذا فعلت هذا وأنت شاب وأمامك الحياة الشريفة ..
تشق طريقها بأظفرك ..؟
- لقد فعلت ما فعل الناس .. وجدتهم يسرقون ويغشون
ويكذبون .. ففعلت مثلهم .

- وهل الناس جميعا هكذا كما تصورت .. انك ناغم على
المجتمع لأنك عاطل .. ولماذا تبحث عن وظيفة في الحكومة
.. ابحث عن عمل آخر وهناك عمل لكل من يكافح ..

- ما الذى أفعله وأنا فقير .. والأجانب يسيطرون على كل
الأعمال الحرة ويمسكون الخيوط فى أيديهم .. ولا أحد
يستطيع أن يتسلل من هذا الحصار ..

- هذا حق .. ولكن على المرء أن يسعى ..
- لقد سعيت كثيرا وتعبت ..
- داوم على الطرق ..
- الآن وقد بعثت فى روحى الأمل سأداوم ..
- ضع العقد فى جيبك ..
- كيف .. اننى أقدمه لك ..
- ضعه فى جيبك لا أحب أن تراه سنية ..
- ولماذا تردينه ..؟
- لتقدمه للبوليس .. قل أنك وجدته ملقى فى الطريق ..
- سيقبضون علىّ .. هل أنا مجنون حتى أفعل هذا ..
- سيقبضون علىّ وأدخل السجن بسبب حماقتى ..
- والآن أنت مستريح ..

- كل الراحة ..
- اذن خذه ..

ونهضت ووضعت العقد فى جيبه .. كما كان .. وأحس
بجسمها وهى تفعل هذا يلامس جسمه ويضغط عليه ..
فأحس بلسع النار .. وظهر الاضطراب على وجهه .. ولكنه
بعد قليل سيطر على عواطفه ..

وانسابت بخفة إلى المطبخ وهى تقول :
- ساعد العشاء بنفسى ..

وجلسا يتعشيان فى غرفة الطعام وكان الليل قد قارب
منتصفه والنيران مشتعلة فى الشوارع المجاورة والدخان
يملاً جو السماء .. وكانت الخادمة قد تكورت فى فراشها منذ
ساعات .. وبقيا ساهرين وحيدين وأحسا بالهدوء والألفة
وكان قد عشقها من أول نظرة .. وبادلته نفس الاحساس
ولكن بتحفظ المرأة المجربة ..

وكان من عادتها أن تشرب قليلا من الكونياك مع العشاء
.. فجعلته يشرب معها .. وشرب وأحس بالنشوة والشجاعة
على محادثتها بكل ما يشعر به .. أفضى لها بكل أحاسيس
نفسه .

ولما حان وقت النوم فرشت له فى غرفة الجلوس ..
وقالت له :
- تصبح على خير ..

وفى الصباح استيقظ عندما لاح النور .. وهو يحس
بسعادة دافقة أحس بأنه قضى معها ليلة العمر ..

ولبس ملابسه سريعا .. وكانت احسان لاتزال نائمة ..
وتعمد ألا يحدث أقل حركة توقظها ..

وترك لها العقد بجوار الفراش وتسئل بهدوء .. وفتح
الباب .. وخرج إلى الطريق ولم يكن يعرف أن التجول
ممنوع فى هذه الساعة ..

وقبل أن يخرج من الشارع .. حسبته جندى الحراسة ..
لصا من الذين تسللوا إلى المتاجر التى تحطمت .. أبوابها ..
فأطلق عليه النار .

وسقط فى مكانه

نشرت بمجلة القصة عدد يولية ١٩٦٤ وأعيد نشرها
بمجموعة " مساء الخميس " لمحمود البدوى ١٩٦٦

المكتبة الإلكترونية المجانية 
أول وأكبر مكتبة إلكترونية عربية مجانية على الإنترنت www.fiseb.com

www.fiseb.com

www.fiseb.net